

الفصل الرابع

الصين

مدخل عام نقأة الدولة في العصور الفرمجة:

عندما عاش الإنسان صباداً وراعياً متنقلاً احتاج إلى تنظيم معين لحماية نفسه وأسرته وممتلكاته . وكان من اليسر أن يتحول الراعى فوق دابته إلى محارب ، وتحمى النساء والأطفال خلف صفوف أو ما يصد عنها سهام وهجمات المهاجمين ثم تغيرت تكتيكات الحماية عندما تحول الإنسان إلى الزراعة والاستقرار ، وأصبح له سكن ومخزن يخزن فيه غذاءه ، وقد تخر الإنسان السهول المنبسطة لليسر في زراعتها . ولكن السهول المنبسطة كانت دائماً سهلة أمام المهاجمين ، وتجمع السكان المزارعون واتفقوا على تكتيك جماعى للحماية من الأخطار ، فأقاموا نقطاً للحراسة أو ما يشبه الحصون والقلاع ، واتخذوا نفراً منهم يتولى تنظيم هذه الحماية . حكومة ترعى مصالحهم (١) .

ويرى ول ديورانت (٢) أن الرجل من الناس لا يتحد مع زملائه مدفوعاً برغبته بقدر ما يتحد معهم بحكم العادة والتقليد والظروف القاهرة . فهو لا يجب المجتمع بقدر ما يخشى العزلة ، ولذلك تراه يتحد مع غيره من الناس ؛ لأن اعتزاله يعرضه للخطر ، ولأن ثمة أشياء كثيرة يمكن أن يجود أداؤها بالتعاون أكثر مما يجود بالأنفراد ... ولو جرت الأمور على ما يشتهى الإنسان المتوسط لكان الأرجح ألا تقوم للدولة قائمة .. ويتحرق شوقاً لحكومة لا تحكم من أموره إلا أقلها .

ويؤكد كلام ديورانت أن مجتمعات بسيطة اليوم لا تعرف الحكومات ، بل تعيش عادة في أسر منمنزل بعضها عن بعض ، كما هو الحال في أقزام أفريقيا وأهل استراليا الفطريين .

Lipson, Leslie : The Great Issues of Politics, p. 44. (١)

(٢) ول ديورانت (ترجمة زكى نجيب محمود) قصة الحضارة - الجزء الأول ،

وقد عاش الإنسان في فجر نظامه الاجتماعي الدائم في قبيلة ، وهي تتألف من مجموعة من الأسر ترتبط بأواصر القرى ، وتقتن قطعة أرض على نظام الشيوخ ولها طوطم مشترك ، كما أن لها حكومة تنظم أمورها . ثم اتحدت مجموعة من القبائل وكونت عشيرة لها رئيس ، أو غالباً مجلس من الرؤساء ، هم في حقيقة الأمر شيوخ القبائل أو زعمائها . ولم تكن لفرد واحد السلطة الكاملة إلا في أوقات الشدائد ، وكانت كثيرة . فالحرب لا تهدأ . والحروب هي التي تخلق الرئيس وتخلق الملك وتخلق الدولة (١) . وعرف عن بعض القبائل أنها لم تكن تعرف من الحكومة إلا ما لرأس الأسرة على أسرته من سلطان ، فإن نشب القتال كانوا يختارون أشجع مقاتليهم فيؤاونه القيادة ويطيعونه طاعة عمياء ، حتى إذا وضعت الحرب أوزارها نزعوه وأعادوه إلى عمله السابق . أما في فترات السلم فأكثر الناس سلطة هم الكهنة أو ريس السحرة .

ويكاد يجمع نفر كبير من المفكرين ، في سياق حديثهم عن نشأة الدولة إلى أن الحرب والغزو هما أساسها ... « تبدأ الدولة - باعتبارها مختلفة عن النظام القبلي - بأن يغزو جنس من الناس جنساً آخر » . ويقول أوبنهايمر : « إنك ترى أينما وجهت البصر قبيلة مقاتلة تعتدى على حدود قبيلة أخرى أقل منها استعداداً للقتال ، ثم تستقر في أرضها مكونة جماعة الأشراف فيها ، ومؤسسة لها الدولة » . ويقول آخر : « العنف هو الأداة التي خلقت الدولة » . ويؤكد مفكر آخر أن الدولة نتيجة الغزو ، هي قيام الظافرين طبقة حاكمة على المهزومين .

وغالباً ما يقع الغزو على جماعة زراعية مستقرة تميل إلى السلام وتجنح إليه ثم تهاجمها قبيلة من الرعاة والصيادين ممن ألقوا المخاطر وأخذوا على الكر والفر ، وينظرون بعين الحسد إلى ما يتمتع به الزراع المسالمون من خير وفيه ، ويسيطر الغزاة ، ثم يبدأون في الاستقرار الفعلي والاندماج الحقيقي مع

(١) نفس المرجع ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٤ .

المهزومين ، وتربط العوامل الاقتصادية من تجارة وتبادل المنافع بين هؤلاء وأولئك من غازين ومهزومين . وتنشأ بذلك علاقات لا تقوم على القرابة بل تعتمد على ما بين الناس من اتصال ، وتنظم هذه العلاقة . وعندما حلت القرية محل القبيلة أو العشيرة ، وأقامت حكومة لها صفة الاستقرار ، استلزم الأمر تدخل قوة خارجية تنظم ما بين القرى من علاقات وتنسجها جزءاً من شبكة اقتصادية أوسع . والدولة هي التي سدت هذه الحاجة . وأمنت الدولة سلاماً في الداخل ثم بدأت تستعد لتوسيع رقعتها بحرب في الخارج .

من أسرة صغيرة إلى مجموعة أسر و قبيلة تصطاد وترعى ثم تزرع ، إلى عشيرة جمعت بين قبائل وسادت حياة ديموقراطية بين أفرادها ... ثم غزو ثم دولة ... ثم دول .

عن الصين القديم :

لا نعرف بالتحديد من أين جاء الصينيون أو إلى أي جنس ينسبون ، ولا متى بدأت حضارتهم في الزمن القديم ؟ وإنك إذ تتطلع إلى تاريخ مسلسل للحضارة الصينية سوف تجد أن الفترة من ٢٨٥٢ إلى ٢٢٠٥ قبل الميلاد قد حكم الصين فيها « حكام أسطوريون » . ويرى بعض المؤرخين أنه كان يعمر بلاد منغوليا منذ عشرين ألف سنة قبل الميلاد أقوام من البشر تشبه أحواتهم الأدوات الأزيلية التي استخدمتها أوربا في العصر الحجري الوسيط . ويرون أن نسل هؤلاء الأقوام قد جابوا منتشرين في سيبيريا والصين .

وقد كتب مؤرخون صينيون عن تاريخ الصين ، ولكن غالبية المؤرخين الغربيين لا يثقون في أقوالهم . ويتحدث الصينيون عن تاريخ الصين منذ ٣٠٠٠ ق.م. وبعضهم يصف خلق العالم كأنما أوثن علماء كشف النقاب عن المجهول ، ويقولون « إن » بان كو « هو أول الخلاق ، وقيل إنه شكل الأرض عام ٢,٢٢٩,٠٠٠ قبل الميلاد .. وشكل الأرض في مدة زمنية بلغت ١٨,٠٠٠ سنة وقد بذل من نفسه كل البذل في عمله حتى إن أنفاسه تجمعت أثناء تشكيله الأرض فخرجت رياحاً ومهباً . وأضحى صوته رعداً وانساب

(١) ول ديورانت (ترجمة محمد بدران) : قصة الحضارة - الجزء الرابع ، ص ١٥ .

عروقه مجارى وأنهاراً وبسط لحمه فصار أرضاً ، وتبعثر شعره فكان نباتاً وشجراً ، وتناثرت عظامه فسكنت جوف لحمه معادن ، وتساقط عرقه فكان أمطاراً . وأما ما كان يهيم على جسمه من حشرات فقد أصبحت البشر !! وقد تولى هذه الحشرات بالترية والتدوين الملوك الأولون في الأساطير الصينية ، وقد حكم كل منهم ١٨٠٠٠ سنة .. وجاء بعد هؤلاء الملوك الإمبراطور فوشى في عام ٢٨٥٢ ق.م. وكانت له زوجة ذات عقل راجح وعلم كبير . عرفت باسم سيده ساي لنج وبمعاونتها استطاع أن يعلم الناس الزواج (حتى يعرف الإبن أباه) . وتأنيس الحيوان ، والصيد ، والموسيقى وتربية دودة القز . وقبل أن يموت فوشى أوصى أن يخلفه سن - نونج . وقد أدخل هذا الإمبراطور الزراعة في الصين . واخترع المحراث الحشبي وأقام الأسواق ، وأوجد التجارة ، وأنشأ علم الطب . ثم خلفه هوانج - دى الذى لم يطل حكمه أكثر من مائة عام . وقد جاء إلى الصين بالمغناطيس والعجلات ، واستخدم المؤرخين الرسميين . وأقام مرصداً وبني مساكن ومباني من الآجر (١).

وكان على رأس دولة الصين إمبراطور ، مهما اختلف اسمه فهو (ابن السماء) بحكم نيابته عن الخالق ، ويستمد سلطانه مما يتصف به من الفضيلة والصلاح . ويليه في السلطان أمراء أو أعيان . بعضهم يحكم مولدهم . وبعضهم يحكم تربيتهم وتدريبهم وهم يصرفون أعمال الدولة . ثم يأتي الشعب وواجبه فلاحه الأرض ويعيش في أسر أبوية ويتمتع بالحقوق المدنية ، ولكنه لا رأى له في تصريف الشئون العامة .

واشتهر الصينيون بالجلد والعمل الطويل المستمر الشاق ، ويتحدث كتاب الغرب عن الآلام التي كان يعانها الصيني منذ بداية يومه إلى أن ينتهى من عمله بعد ساعات طوال في صناعة النحاس والصفير والحفر على الخشب ومزارع الأرز وتنظيف القطن . ولم يقتصر العمل على الرجال ، بل شاركت النساء

Woody, Thomas : Life and Education in Early (١)

Societes. p. 112

الرجال بعض أعمالهم ، فعملن في صناعات الحرير والقطن إلى جانب العمل المنزلي .

وقد ساد الزواج من امرأة واحدة وإن وجد تعدد الزوجات ولكنه لم يكن منتشرأ ، وعرف أفراد الطبقات العليا نظام المحظيات ، أما الطلاق فلم يكن شائعاً ، ويمكن للزوج أن يطلق ولكن بشروط معينة وتحت ظروف خاصة . وكانت حكمة الحياة الأسرية تلخص في أن النساء لا يتكلمن عما يدور خارج البيت ولا يتدخل الرجال فيما يدور داخل البيت .

وقد سادت الصين ديانات : الكنفوشية والبوذية والتاوية . ولأهمية تعاليم كنفوشوس ، سوف أفرد له بعض الصفحات .

يقال إن كنفوشوس ولد عام ٥٥١ ق.م من أسرة من نسل الإمبراطور العظيم هوانج - دى . وتزوج في التاسعة عشرة ، وطلق في الثالثة والعشرين ، ثم لم يتزوج ، واشتغل بالتعليم في سن الثانية والعشرين متخذاً داره مدرسة ، ويدفع تلاميذه ما يستطيعون دفعه نظير تعلمهم التاريخ والشعر وآداب اللياقة والفلسفة . وكان يؤمن أن صنفين اثنين من الناس هما وحدهما اللذان لا يستطيعان أن يفيدا من تعاليمهما وهما أحكم الحكماء وأغبي الأغبياء .

وكان لكنفوشوس في أول الأمر عدد قليل ممن تتلمذوا على يديه ، حتى إذا ذاع صيته أقبل عليه الكثيرون ممن أرادوا أن ينهلوا من حكمته ، حتى قيل إنه تخرج على يديه ثلاثة آلاف ممن تولوا مناصب عليا في أجزاء متفرقة من العالم .

وعرف عن كنفوشوس شكله البشع وخلقته الكئيبة مع عقل راجح وحكمة عالية ، ويقول تلاميذه إنه كان مبرأ من أربعة عيوب : فكان لا يجادل وفي عقله حكم سابق مقرر ، ولا يتحكم في الناس ويفرض عليهم عقائده ، ولم يكن عنيداً ولا أنانياً . ومن أقواله : « لست أبالي مطلقاً إذا لم أشغل منصباً كبيراً ، وإنما الذي أعنى به أن أجعل نفسي خليقاً بذلك المنصب الكبير . وليس يهمني قط أن الناس لا يعرفونني ، ولكني أعمل على أن أكون خليقاً بان يعرفني الناس » .

ويرى مولر «١» أن الكنفوشية هي مفتاح التاريخ الصيني ، فانه رجل ، وليس نبياً مرسلًا ، استطاع أن يدمج مجتمعاً برمته بصورته ، فقد تخلى عن فكرة « مدينة الله » قائلاً : « إننا لا نعلم كيف نخدم الناس ، فكيف نعرف الطرق لخدمة الأرواح ؟ إننا لا نعرف الحياة ، فكيف نعرف عن الموت ؟ » ، وكان هدفه الأسمى إقامة المدينة الأرضية المنسجمة . ورأى أن الطريق إلى مدينة منسجمة على الأرض هو التعاطف والإحساس بالغير ، وليست هذه الصفة منزلة من قوة عليا ولكنها - في رأيه - عنصر أساسي في الطبيعة البشرية .

ومات كنفوشوس في الثانية والسبعين من عمره ، وكأنه كان يعلم بانتهاء أجله ، فقد تغنى صباح يوم قائلًا :

سيدك الجبل الشاهق دكاً ،

وتتحطم الكتلة القويصة ،

ويذبل الرجل الحكيم كما يذبل النبات

ثم أوى إلى فراشه ، ومات بعد سبعة أيام ، وبكاه تلاميذه وهم يودعونه في قبره ، أقاموا حول القبر ثلاث سنوات ينرفون اللمع على أستاذهم . وقد خلف كنفوشوس وراءه خمسة مجلدات عرفت في الصين باسم « الجنجات الخمسة » أو « كتب القانون الخمسة » ، وهي : سجل المراسيم ، إذ اعتقد أن آداب اللياقة من الأسس الدقيقة لتكوين الأخلاق ونضجها ؛ وكتاب التفيرات ، وتحدث فيه عن علم ما وراء الطبيعة ، وكتاب الأناشيد ، وفيه شرح كنه الحياة البشرية ومبادئ الأخلاق القويمة ، وكتاب حوليات الربيع والخريف ، وفيه الأحداث التي وقعت في موطنه الأصلي ، ثم كتاب التاريخ وجمع فيه أشرف وأنبئ ما وجدته في حكم الملوك الأولين من أعمال تستحق التنويه والإشادة ، ثم أضاف مريدوه أربعة كتب جمعوها من آرائه الفلسفية .

ولعل خير ما يعبر عن المنهج الفلسفي الكنفوشي ما اعتقد فيه كنفوشوس كل الاعتقاد ، فهو آمن بأهمية الأخلاق ، وهي مطلبه الأول ، وكان يرى ألا صلاح للفساد السائد في مجتمعه إلا على أساس الأخلاق التي فسدت من ضعف الإيمان القديم وانتشار الشك السفسطائي في ماهية الصواب والخطأ ،

وكان يرى ضرورة البحث الجدى عن معرفة آتم وأكمل من المعرفة السابقة . وعلى إعادة تنظيم حياة الأسرة تنظيمياً مبنياً على أسس خلقية سليمة . فيقول (١) : « إن العالم فى حرب ، لأن الدول التى يتألف منها فاسدة الحكم ، والسبب فى فساد حكمها أن الشرائع الوضعية مهما كثرت لا تستطيع أن تحل محل النظام الاجتماعى الطبيعى الذى تقيمه الأسرة . والأسرة محتلة عاجزة عن تهيئة هذا المقام الاجتماعى الطبيعى ، لأن الناس ينسون أنهم يستطيعون تنظيم أسرهم من غير أن يقوموا أنفسهم ، وهم يعجزون عن أن يقوموا أنفسهم لأنهم لم يظهروا قلوبهم ، أى لأنهم لم يظهروا نفوسهم من الشهوات الفاسدة الدنيئة ؛ وقلوبهم غير طاهرة لأنهم غير مخلصين فى تفكيرهم ، لا يتقنون الحقائق قدرها ويخفون طبائعهم بدل أن يكشفوا عنها ؛ وهم لا يخلصون فى تفكيرهم لأن أهواءهم تشوه الحقائق وتحدد لم النتائج بدل أن يعملوا على توسيع دائرة معارفهم إلى أقصى حد مستطاع يبحث طبائع الأشياء بحثاً منزهاً عن الأهواء ، فليسع الناس إلى المعارف المزهة عن الهوى يخلصوا فى تفكيرهم ، وليخلصوا فى تفكيرهم تتطور قلوبهم من الشهوات الفاسدة ؛ ولتطهر قلوبهم على هذه الصورة تصلح نفوسهم ، وتصلح نفوسهم تصلح من نفسها أحوال أسرهم ، وليس الذى تصلح به هذه الأسر هو المواعظ التى تحت على الفضيلة أو العقاب الشديد الرادع ، بل الذى يصلحها هو ما للقدوة الحسنة من قوة صامتة ؛ ولتنظم شئون الأسرة عن طويق المعرفة والإخلاص والقدوة الصالحة يهباً للبلاد من تلقاء نفسه نظام اجتماعى يتيسر معه قيام حكم صالح . ولتحافظ الدولة على الهدوء فى أرضها والعدالة فى جميع أرجائها يسعد السلام العالم بأجمعه . ويسعد جميع من فيه » ..

هذا ، وقد وجدت إلى جانب الكنفوشية الديانتان التاوية والبوذية . ولا يتطرق إلى الذهن أن تنافساً قام بين التاوية والبوذية والكنفوشية ، فإن إحداها كانت تكمل الأخرى . وقد يعتق الصينى الكنفوشية والتاوية معاً ..

على أن (الديانات) الثلاث نظرت بعين الاعتبار إلى حياة الإنسان الدنيوية ، و يروى أن لاو - نسي مؤسس التاوية علم مردييه أن « التاو » أو « الطريق الحق » مرتبط ارتباطاً وثيقاً جداً مع العالم ، وكان يهدف إلى الحياة السعيدة على الأرض ببسر ودون تعقيد .

وكان لاو - نسي يرمى إلى انسجام الجسم مع الروح ، الإنسان والطبيعة .. وسبيل الإنسان إلى ذلك ترك الأمور تجري على هواها (١) .

وهكذا نجد التاوية تتأرجح بين ديانات بدائية وبين السحر ، وقد احتقر التاويون الأوائل متاع الدنيا . ولكن أحفادهم تنحوا عن التاو « الطريق الحق » إلى البحث عن أكسير الحياة وروحها .

أما البوذية فإن الاتجاهات الميتافيزيقية وفكرة الزهد فيها كانت غريبة عن الصينيين ، ومع ذلك جذبت إليها أتباعاً كثيرين . ولعل أكثر ما جذب الصينيين إليها دعواها عن الخلاص للنفوس . والبوذية تتكون من الأربع حقائق النبيلة وهي (٢) .

١ - الوجود شقاء .

٢ - يتسبب الشقاء عن الرغبات الأنانية .

٣ - يمكن تدمير الرغبات الأنانية .

٤ - يتم تدميرها باتباع طريق ذى ثمان شعب ، خطواته هي :

(أ) الفهم السليم .

(ب) الغرض الصحيح .

(ج) القول الحق .

(د) السلوك القويم .

(هـ) المهنة المناسبة .

(١) Muller, H. : op. cit., p. 33.

(٢) Burtt, E.A. (Editor) : The Teachings of the Compassionate Buddha, p. 28.

- (و) المحاولة الجادة .
(ز) اليقظة الواعية .
(ح) التركيز الصادق .

وقد دخل صينيون كثيرون في ديانة البوذية أفواجاً بعد أن انتشرت هياكلها ومعابدها التي كانت ملاذاً للسلام وليست مراكز للنظام والصرامة . ولم تكن البوذية أكثر من ديانة دنيوية تدعو إلى حياة رءوم وادعة ، وعاشت جنباً إلى جنب مع التاوية والكنفوشية ، بل إنك تجد الرجل الصيني يعتقد الديانات الثلاثة في وقت واحد ، ويقول في نفسه لعل رجال الدين على حق ولعل هناك جنة كما يقولون ، وخير ما يفعله الواحد أن يتقبل كل هذه الديانات ويستأجر كهنة من ديانات مختلفة يتلون الصلاة على قبره ، فعسى أن تقبل صلاة أحدهم . وأكثر ما يهتم به الصيني أن يعيش مرتاحاً سعيداً في دنياه ، فهو لا يطلب في صلاته نعيم الجنة ، بل يطلب الخير لنفسه في العالم الأرضي . ولا يعجب إذن إذا لم نسمع عن تعصب ديني أو حرب دينية في الصين ، وأنصار كل دين متسامحون جداً مع أهل كل دين آخر . ولعل تمسك الصيني بدنيويته عن آخرته عدم إقبال الكثيرين من الصينيين على الإسلام أو المسيحية ؛ فكلاهما يدعو للجنة ؛ وقد دعت البوذية إليها من قبلهما ، والصيني يريد نعيم الدنيا .

التربية الصينية :

كما ظهر من الصفحات السابقة لم يكن للصين ديانة رسمية ، وإن كان « أبناء السماء » قد حاربوا في وقت مبكر الديانة البوذية ، ثم عادوا ومكنوا بتسامحهم لكهنتها . وكما انفصل الدين عن الدولة فكذلك انفصلت التربية والتعليم عن الدين ، ولم تنفق الدولة على المدارس بل لم تكن هناك مدارس حكومية ، ولم يكن بالصين نظام تعليم حكومي . وقد انتشرت مدارس القرى وهي معاهد خاصة ساذجة لا تزيد قليلاً عن حجرة واحدة في كوخ صغير ، كان يدرس فيها معلم واحد يتناول أجره من آباء التلاميذ ، وكان أجراً ضئيلاً .

ولم يكن يلج هذه المدارس إلا أبناء القادرين ، أما الفقراء فلم تتح لهم فرص التعليم . وغالباً ما كانت تأخذ المدرسة مكانها في معبد من المعابد إذا لم تجد كوخاً مناسباً أو سقيفة أو ركناً يأوى التلاميذ . ولم تكن هناك مدارس للبنات ولا تعليم لغالبية التلاميذ بعد سن الخامسة عشرة . ولم يتعد الذين جاوزوا التعليم الابتدائي (الأولى) هذا أكثر من خمسة في المائة .

على أن الدراسة بهذه المدارس المتواضعة خضعت لنظام صارم ، فكان الأطفال يأتون مع مطلع الشمس ويلبسون إلى قرب المغرب . ولم فترات راحة يتناولون فيها طعامهم . وفي هذه المدارس كان التلاميذ يتعلمون القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وشيئاً من كتابات كنفوشيوس وبعض الشعر . ووصفت اللغة التي استخدمت بالمدارس بأنها لغة ميتة لا تستخدم خارجها . ولهذا فإن العمل المدرسي لم يكن يعنى الكثير عند التلاميذ ، خاصة أن المعلم كان يلجأ إلى تضييقهم على ظهر القلب وإلى استخدام العصا لتأكيد هذا الأسلوب من التعليم .

وقد حفظ الصغار الكثير من تعاليم المعلم كونج حتى تستقر في قلوبهم ، على أمل أن يصبحوا فلاسفة وسادة مهذبين ، خاصة أن الكنفوشية كانت عقيدة المعلمين . وكان على التلميذ أن يتم دراسته في مدة تراوح بين ثلاث وخمس سنوات في هذه المرحلة الأولى .

ويلى هذه المرحلة التعليم الثانوي ثم العالى ، وفيهما يتعلم الطلبة نفس الكتابات الفلسفية والدينية ولكن باستزادات وشروح . إلى جانب دراستهم التاريخ الصينى والقانون والمالية والشئون الحربية والزراعة . ويتمرن الطلاب على كتابة الشعر والمقالات على النمط الذى سار عليه أجدادهم . وفي الكليات ، وكانت كلها أهلية ، تحتم على الطلبة التبحر في الدراسات الكلاسيكية .

وكان غرض التربية عامة هو خدمة النظام القائم وإعداد الموظفين للدولة ، وهؤلاء كانوا يعينون على حسب نتائج الإمتحانات والشهادات التى يحصلون

عليها ، وقد أعجبت أفلاطون هذه الطريقة في التعيين في مناصب الدولة على أساس أنها لم تحل بين الشعب وتولى المناصب العامة ، وبواسطتها لم يصبح تولى المناصب امتيازاً تتوارثه فئة قليلة من أبناء الأمة . ولهذا كانت الدولة تعقد في أوقات معينة امتحانات عامة في كل مركز من المراكز يتقدم إليها من شاء من الذكور متى كانوا في سن معينة .

ومن هذه الامتحانات ما يؤهل من ينجح فيها لوظيفة من الوظائف الصغرى في المقاطعات أو يصبح عضواً في طبقة الأدياء . وهؤلاء من يحصلون على درجة شيودزاي . ويصبح من حق الناجح أن يتقدم لامتحان آخر أرقى وأصعب ، يعقد مرة كل ثلاث سنوات ، ومن ينجح فيه يعين في وظائف الحكومة « الصغرى » ، وهي أرقى من وظائف المقاطعات . و من حق الطالب أن يتقدم للامتحان مرة أخرى وثالثة ورابعة ... إذا رسب .. وقد يموت في سن الثمانين ولم تنجح محاولاته ، فلا حد للسن في هذا الامتحان .

وأما الناجحون فيحق لهم التقدم لامتحان نهائي في كلية (هان لين يوان) أى غابة الأفلام وهى أكاديمية امبراطورية ، وكان يعقد في بكين ذاتها في أغرب قاعة امتحان ، تتكون من عشرة آلاف حجرة ، لكل طاب حجرة يأخذ فيها غذاءه وشرابه حيث يستمر الامتحان ثلاثة عشر يوماً (١) . ويعطى الطالب بعد دخوله الحجرة أسئلة الامتحان كأن يكتب قصيدة عن « صوت المجاديف والتلال الخضراء والماء » . ويبقى في حجرته رديئة التهوية متحملاً البرد والشظف ليكتب عن كنفوشيوس والأدب والأخلاق والفلسفة . وكان الناجحون يعينون في مناصب الدولة الكبرى ، ولم يزد عدد الناجحين عن واحد في المائة .